الثور الأبيض في قصور الحكم العربية

بقلم: أسامة جاويش..

العار العربي بات شعار حقبة هي الأسوأ تاريخيا وعربيا وإسلاميا، وبات على الشعوب العربية أن تقول كلمتها لأن التاريخ لن يرحمنا حكاما ومحكومين.. الأناضول

أكلت يوم أكل الثور الأبيض، مقولة عربية ومثل قديم يقال في حالة الندم الشديد على التفريط والتنازل عن الحق والخذلان في الدفاع عن المظلوم ولكن في عصرنا الحالي غزة لن تكون أبدا هي الثور الأبيض.

في القاعة الرئيسية في مقر اجتماعات الأمم المتحدة وقف بنيامين نتنياهو قبل أحداث السابع من أكتوبر ممسكا بخريطة للعالم العربي معلنا عن تقسيم جديد للشرق الأوسط وإعادة تشكيل الخريطة وفقا للأوهام والأحلام الإسرائيلية التوسعية.

حدث ما حدث في السابع من أكتوبر، ليجدها نتنياهو فرصة مواتية أن يبدأ في تنفيذ مخططه بالسيطرة على عواصم عربية كثيرة مستندا إلى دعم اليمين المتطرف متمثلا في سموتريتش الذي أعلن عن ضرورة إقامة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات وإلى تصريحات متطرفة من ايتمار ين غفير عن إقامة الهيكل وتحقيق النبوءات التوراتية لدولة الاحتلال.

بالنسبة لنتنياهو، الثور الأبيض في غزة والقاهرة وعمان ودمشق وبيروت وبغداد وربما يمتد إلى الرياض ومكة والمدينة أيضا. إسرائيل تتعامل وفقا لما وصفته مجلة الإيكونوميست البريطانية بالغطرسة الإسرائيلية التي لا ترى رادعا لها في العالم العربي وتحصل على ضوء أخضر أمريكي من دونالد ترامب تعربد بموجبه كيفما شاءت وتقصف أربع عواصم عربية في وقت واحد دون أن يرمش لها جفن أو تخشى حسابا من أحد.

في حكاية الثور الأبيض وقف الثور الأحمر باكيا وهو ينتظر مصيره المحتوم على يد الذئب ليبكي ويقول أكلت يوم أكل الثور الأبيض، وفي حكاية ملوك الطوائف في الأندلس بكى آخر ملوكهم بعد أن سلم آخر معاقل المسلمين للغزاة المحتلين فوبخته أمه قائلة ابك كالنساء على ملك لم تحافظ عليه كالرجال.

ولكن في حكاية غزة أصبحت عبارة أكلت يوم أكل الثور الأبيض، درسا حفظته إسرائيل وحولت حكام العرب إلى ثيران وبغال وحمير ليركبوها ويتحكموا فيها ويحركوها كيفما شاؤوا فأصبح الاحتلال كيانا بغيضا ملك زمام الملوك، وتحكم في قرار الأمراء، وسيطر على تفكير الرؤساء حتى بات له موضع قدم في كل قصر رئاسي وديوان ملكي، يأمرهم فيأتمرون، يهينهم فيصمتون، يحتل عواصم عربية فلا يتحركون.

بات العار العربي شعار مرحلة هي الأكثر انحطاطا والأكبر خذلانا والأسوأ عمالة وخيانة وتواطؤا مع الاحتلال، أؤمن تماما أن التاريخ سيذكر حكام العرب والمسلمين بأنهم صدقوا في ولائهم لإسرائيل، ونجحوا في تبعيتهم للاحتلال، وفشلوا أن يعيشوا بكرامة أو أن يدافعوا عن أرض أو أن يحموا أوطانهم من الانهيار.

في غزة يلعنون عمالة الحكام، وصمت الشعوب، وغباء النخب والمثقفين، وسلاح الجيوش العربية الذي صدأ من قلة الاستعمال، في غزة يكرهون بياناتكم، يشجبون شجبكم ويدينون إدانتكم ويلعنون صمتكم على إبادتهم الجماعية.. ولكن ما بدأ في غزة لن ينتهي أبدا بها وإنما سيذهب إلى أبعد من ذلك بكثير.

صباح اليوم، أظهرت صور الأقمار الصناعية تحرك دبابات إسرائيلية من طراز ميركافا بمحاذاة الحدود

المصرية مع قطاع غزة ووجهت مدافعها باتجاه نقطة مراقبة عسكرية مصرية داخل سيناء، حدث هذا في المنطقة د وفقا لاتفاقية السلام كامب ديفيد الموقعة بين مصر وإسرائيل عام 1979 والتي تمنع دخول آليات عسكرية إسرائيلية إلى هذه المنطقة تماما.

التحرك الإسرائيلي يأتي بعد قصف متواصل لعدة أيام لمدينة رفح الفلسطينية وتهجير الأهالي منها لإقامة ما أطلق عليه نتنياهو محور موراج وهو محور أمني إسرائيلي يمتد بطول 12 كيلو مترا من البحر وحتى شارع صلاح الدين ويفصل بين مدينة رفح الفلسطينية وخان يونس تماما.

موراج كانت مستوطنة إسرائيلية في نفس المنطقة بعد احتلال إسرائيل لقطاع غزة في يونيو 1976 ثم تحولت إلى محور مهم في خطة أريل شارون عام 1972 بتقسيم غزة إلى خمسة محاور تفصل شمالها عن وسطها وعن جنوبها ثم أصبحت تعاونية زراعية عام 1982 حتى تم تفكيكها تماما مع انسحاب إسرائيل من القطاع عام 2005.

تواجد إسرائيل في هذه المنطقة المحاذية للحدود المصرية هو خطر مباشر وتهديد استراتيجي للأمن القومي المصري بالإضافة إلى تحكم الاحتلال بشكل كامل في نقل البضائع والأفراد ودخول المساعدات واحتمالية حدوث مواجهات أو استفزازات إسرائيلية لقوات حرس الحدود المصرية على طول الشريط الحدودي الفاصل بين مصر وقطاع غزة.

في سوريا أيضا لا يختلف الأمر كثيرا، فإسرائيل لا ترى ثورا أحمر أو أبيض وإنما تعلن عن أطماعها في كامل سوريا وعن احتلالها لجزء كبير منها وعدم السماح لسوريا الجديدة بالتنفس أو إقامة علاقات ثنائية إقليمية أو عسكرية مع تركيا تحديدا.

العار العربي بات شعار حقبة هي الأسوأ تاريخيا وعربيا وإسلاميا، وبات على الشعوب العربية أن تقول كلمتها لأن التاريخ لن يرحمنا حكاما ومحكومين.